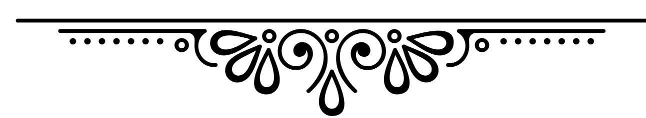


المضامين التربوية في وصية الإمام أبي حنيفة لتلميذه السمتي

أ.م. خالـد أحمـد سـليمان

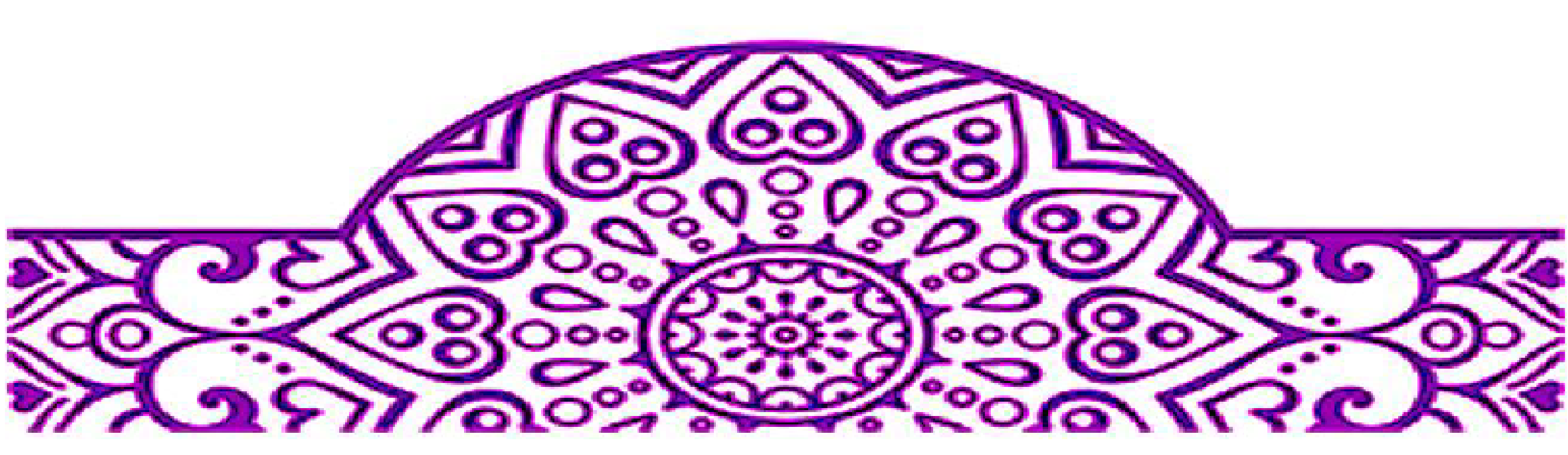
الجامعة العراقية / كليــة الآداب



The Pedagogical Signification of Imam Abi Hanifa's Will to His Student AL-Samti

Assistant Professor Khalid Ahmed Suleiman

Al-Iraqia University/College of Arts



الملخص:

البحث والتنقيب في تراثنا الإسـلامي يكشـف للباحث عن كنوز من الآراء والأفكار والتصـورات التربوية والتعليمية عند علماء الإسلام في مختلف العصور والأزمان، والإمام أبو حنيفة النعمان ـــ رحمه الله ـــ علم من علماء الإسلام، شُهِرَ بالفقه والقياس، وأسس مدرسة امتازت بالعمق العلمي والتاريخي في المجتمعات المسلمة عبر التاريخ، وله أفكار وآراء تربوية وتعليمية سابقة لعصره، يهدف البحث الحالي إلى الكشف عن هذه الأفكار والمبادئ التربوية والتعليمية من خلال وصية الإمام إلى تلميذه السمتي، استخدم الباحث المنهج الوصفي الاستنباطي وقاس التكرارات والنسبة المئوية، وتوصل الباحث إلى:

1. الوصـية أسـلوب تربوي تعليمي قديم اسـتخدم من قبل علماء الإسـلام من القرن الثاني الهجري.
2. أشـار الإمام أبو حنيفة رحمه الله في وصـيته التي أوصـى بها في القرن الثاني الهجري إلى آراء تربوية لم تُذكر إلا بعده بقرون طويلة .
3. اهتم الإمام رحمه الله بإعداد المعلم والمربي الذي يزاول عملية التعليم ويواجه المواقف التعليمية المختلفة.

Abstract

The process of researching and exploring in our Islamic heritage unveils for the researcher magnificent views, thoughts and viewpoints with regard to pedagogy and education of Muslim Scholars in different eras. And Imam Abi Hanifa AL-Nu'man (May Allah Rest His Spirit in Peace) is considered to be one of the greatest pioneers of Islam. He was well-Known in jurisprudence and measurement. Besides, He founded a school that had a great feature of in-depth knowledge and history of Muslim communities throughout history. Moreover, He had pedagogical and educational viewpoints.

The current paper aims to explore the thoughts, the pedagogical and educational principles of Imam Abi Hanifa's will to his student AL-Samti. And the researcher employed the educible and descriptive Approach and he measured the repetitions and the proportions.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين ربّ يسر بفضلك ومَنّك، وبعد:

قال تعالى: (قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ) (الزمر/9) ، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: [مَن سلَك طريقًا يطلُبُ فيه عِلْمًا، سلَك اللهُ به طريقًا مِن طُرُقِ الجَنَّةِ، وإنَّ الملائكةَ لَتضَعُ أجنحتَها رِضًا لطالبِ العِلْمِ، وإنَّ العالِمَ ليستغفِرُ له مَن في السَّمواتِ ومَن في الأرضِ، والحِيتانُ في جَوْفِ الماءِ، وإنَّ فَضْلَ العالِمِ على العابدِ كفَضْلِ القمَرِ ليلةَ البَدْرِ على سائرِ الكواكبِ، وإنَّ العُلَماءَ ورَثةُ الأنبياءِ، وإنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثوا دينارًا ولا درهَمًا، ورَّثوا العِلْمَ، فمَن أخَذه أخَذ بحظٍّ وافرٍ] (أبو داود، حديث/3641). وما لهذا الفضل العظيم، والشرف الجليل لعلماء هذه الأمة، إلا لوراثتهم لعلم النبوة، وتضلعهم بهدي النبوة، وتميزهم بعلم عميق، وفهم دقيق، وعمل خالص لله، ليكونوا منارات هدى، وقناديل تنير درب الناس إلى هدي ربهم، ومن هؤلاء الأفذاذ الإمام أبو حنيفة النعمان ـ رحمه الله ـ، الذي يكفي فيه قول الإمام الشافعي رحمه الله: ما طلب أحد الفقه، إلا كان عيالا على أبي حنيفة. (غاوجي، 1973، صفحة 102)

ولأبي حنيفة مدرسة ممتدة في التاريخ، منذ اللحظة التي جلس فيها على رأس الحلقة العلمية في مسجد الكوفة بعد وفاة شيخه حماد بن أبي سليمان (ت 120هـ) ـ رحمه الله ـ ، حيث لم يزل أمره يزداد علوا وحلقته صارت أعظم حلقة في المسجد ومذهبه انتشر العالم الإسلامي (ابن حجر، د.ت، صفحة 60)،ولمدرسته نكهة خاصة، وتميز انفردت به، منذ بداياتها مع صاحب المذهب، فهو ـ رحمه الله ـ لم يلقِ الدرس إلقاءً ومحاضرةً، وإنما استخدم أسلوب الحوار، والمناقشة، والمناظرة، فهو رحمه الله يلقي المسألة ويسمع ما عند الطلاب ويقول ما عنده ويناظرهم ويناظروه حتى يستقر على قول فيها، والدراسة على هذا النحو هي تثقيف للمعلم والمتعلم معا، وفائدتها للمعلم لا تقل عن فائدتها للتلميذ (أبو زهرة، 1997، صفحة 70)، وكان الإمام ـ رحمه الله ـ يتعهد طلابه، ويعينهم على طلب العلم بالنفقة، والتعليم، والتوجيه، حسب ما يتفرس فيهم من همة لطلب العلم، وكمال الأخلاق، والأدب، وشؤون الدنيا، وينظر إليهم نظرة الوالد لولده، لذا استخدم الإمام ـ رحمه الله ـ الوصية مع طلبته، كأسلوب تربوي، لتوجيه الطالب بعد مدة الطلب العلمي، وذخيرة لمواجهة متطلبات ومتغيرات الحياة التي يلج بها، وكان منها وصيته رحمه الله إلى لابي يوسف، ووصيته لنوح بن أبي مريم، ووصيته

ليوسف بن خالد السمتي مدار البحث الحالي. والمتتبع لموضوع الوصايا عند علمائنا رحمهم الله يجد ألواناً متعددة، وصوراً مختلفة، تشمل في معظمها جوانب الأنسان المتعددة، ونفسه المتقلبة، ورابطها المشترك هو العطف على الطالب، وغرس قيم الدين والأخلاق كسلوك لدى الطالب، لذا تتجاوز وصايا علمائنا حدود الزمان والمكان.

مشكلة البحث

حملَ الباحث هموم تأصيل الدراسات التربوية، واستقرت في جوفه، وانطلق باحثاً ومنقباً بين ما خلفه علمائنا رحمهم الله من تراث علمي مجيد، ولم ينفرد الباحث بهذا، ففي عالمنا العربي والإسلامي علماء أجلاء، يحملون هذه الهموم، والاهتمامات، وقد شمروا عن ساعد الجد، فظهرت البحوث والدراسات، كلٌ منها ينير جانب علمي مشرق، ورغم هذا فعلم علمائنا الأفذاذ رحمهم الله كثير، والبحث فيه ـ على كثرته ـ قليل، والباحث همه المشاركة في هذا الجهد المبارك، وعلى سيرهم يسير، وصاحَبَه نمو في إحساسه بضرورة الإفادة من تراثنا الإسلامي، لتأصيل رؤية تربوية تعليمية، من خلالها ننظر في أساليبنا التعليمية، ومناهجنا، وحدود الكفايات التدريسية لمدرسينا، لذا عمد الباحث إلى دراسة وصية الإمام أبي حنيفة لتلميذه السمتي، كونها صدرت من رمز من رموز هذه الأمة، وعلم من أعلامها، ممن اتفقت الأمة على إمامتهم. مع ما تمثله من توجيهات تربوية يحتاجها المدرس والمربي، لبناء علاقة تتسم بالإيجابية والتفاعل بمحيطه الاجتماعي، والتعليمي.

أهمية البحث

تتجلى أهمية البحث الحالي في محاولة تأصيل منهج التربية الإسلامية، والإفادة من معطيات التراث الإسلامي التربوي، لتأسيس واقع تربوي معاصر نتجاوز به أزمة الجيل الحالي المتمثلة بالضعف السلوكي، والعلمي، لناتج مؤسساتنا التربوية والتعليمية، وتكون لدينا القدرة لعرض منهجنا التربوي والعلمي للإنسانية جمعاء (التميمي، د.ت، صفحة 9)، بلا انغلاق ولا تقوقع في سجن التاريخ، وشخصية الإمام رحمه الله من الشخصيات التي لها تأثير كبير في الفكر الإسلامي، إذ درست آراؤه بدقة عالية من قبل مؤيديه ومخالفيه على السواء، عوضاً عن ما يمثله من مرحلة زمنية مبكرة من عمر الإسلام، واستشعارا لأهمية هذه الجوانب من قبل الباحث، نهض بدراسة بعض أفكار الإمام ـ رحمه الله ـ في التربية من خلال وصيته إلى أحد تلامذته.

هدف البحث

يهدف البحث الحالي، إلى الكشف عن المضامين التربوية في وصية الإمام رحمه الله لتلميذه السمتي.

حدود البحث

يقتصر هذا البحث على وصية الإمام أبي حنيفة النعمان لتلميذه يوسف بن خالد السمتي.

منهج البحث

البحث الحالي محوره نصوص وصية الإمام الأعظم، لذا اعتمد الباحث على المنهج الوصفي الاستنباطي (التحليلي)، وهو من أكثر الطرق استخداماً في البحوث التربوية، ويمد الباحثين بمعلومات يمكن على أساسها الوصول إلى نتائج دقيقة (حلاق و سعد الدين، 2006، صفحة 150)، واستخدم العمليات الحسابية في حساب التكرارات والنسبة المئوية.

مصطلحات البحث

المضامين: جمع مضمون، أي: اشتمل عليه واحتوى، وتضمن الكتاب كذا: حَواه ودلّ عليه، وفي ضمن كلامه: أي في مطاويه ودلالته (الفيومي،2010، مادة ض م ن).

الوصية: وصلته، وأوصيت إليه بمال: جعلته له، وأوصيت بولده: استعطفته عليه، وأوصيته بالصلاة: أمرته بها، ولفظ الوصية مشترك بين التذكير، والاستعطاف، والأمر(الفيومي،2010، مادة و ص ي).

التربوية: صفة للتربية، والتربية: الفضل والزيادة، وربا يربو: إذا نشأَ(الفيومي،2010، مادة ر ب ا).

وعرّف (يالجن) التربية اصطلاحا: هي تنشئة وتكوين إنسان متكامل من جميع نواحيه المختلفة، وفي جميع مراحل نموه، في ضوء المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام (يالجن، 1406هـ، صفحة 26).

المضامين التربوية: يُعرّف (أبو شوشة) المضامين التربوية: بأنها خلاصة الفكر التربوي الذي يشتمل عليه كتاب معين، بغض النظر عن المجال الرئيس الذي ألف فيه هذا الكتاب (أبو شوشة، 2009، صفحة 29).

وعرفتها (المرزوقي): هي كافة المعاني والأنماط والقيم والممارسات التربوية التي تتم من خلال العملية التربوية لتنشئة الأجيال المختلفة تحقيقاً للأهداف التربوية (المرزوقي، 1995، صفحة 165).

ويقصد الباحث بالمضامين التربوية في وصية الإمام أبي حنيفة: هو ما حوته وصية الإمام الأعظم لتلميذه من دلالات تربوية، ومعاني، وأفكار، وقيم، وأخلاق، تساهم في البناء التربوي والتعليمي للإنسان.

أبو حنيفة بن ثابت النعمان: صاحب المذهب، ولد سنة 80هـ في الكوفة، وتوفي في بغداد سنة 150هـ (ابن الحنائي، 2005، صفحة 160)، وشهرته تغني عن الترجمة له.

السمتي: أبو خالد يوسف بن خالد السمتي البصري، كان يديم صحبة الإمام، وكثير الأخذ عنه، ولقب بالسمتي لسمته، ولحيته، وهيئته وكان من علماء زمانه (ت 189هـ) (ابن الحنائي، 2005، صفحة 211)

دراسات سابقة

1. دراسة محمد، محمد نور إبراهيم، 1431هـ، بعنوان (المضامين التربوية المستنبطة من الوصايا النبوية)

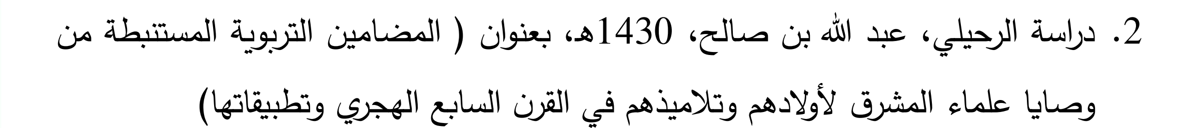
هدفت الدراسة إلى التعرف على أهمية الوصايا النبوية، واستنباط مضامين تربوية منها في الجانب العبادي، والأخلاقي، والاجتماعي، والعلمي، مع بيان لمؤسسات تطبيق هذه المضامين في الأسرة، والمدرسة، والمسجد، واقتصرت الدراسة على الوصايا التي وردت بلفظ (أوصى) أو احد مشتقاته، واستخدم الباحث المنهج الوصفي الاستنباطي كمنهج على دراسته، وتوصل إلى النتائج الآتية:

أ- أن أساس الوصايا النبوية ومنطوقها الرحمة والشفقة.

ب- العبادة في الإسلام أداة تربوية لطهارة النفوس.

ت- تضمنت الوصايا النبوية الأسس التي تقوم عليها حياة الفرد، والأسرة، والمجتمع.

ث- على المسلم أن يطلب الوصية ممن كان أهلاً لها، كالعالم، وأهل الفضل.



2. دراسة الرحيلي، عبد الله بن صالح، 1430هـ، بعنوان (المضامين التربوية المستنبطة من وصايا علماء المشرق لأولادهم وتلاميذهم في القرن السابع الهجري وتطبيقاتها)

هدفت الدراسة إلى استنباط مضامين تربوية من وصايا علماء المشرق في القرن السابع الهجري، وإبراز تطبيقاتها التربوية، وبيان آثارها، واستخدم الباحث المنهج الوصفي الاستدلالي، وتوصل إلى:

أ- من الأساليب التربوية الناجحة للفرد هي الوصية التربوية.

ب- وصايا علماء المشرق اتصفت بالشمول في جميع مجالات التربية.

ت- للأسرة والمدرسة دور كبير في تطبيق المضامين التربوية.

وأوصى الباحث بضرورة التنسيق المشترك بين جميع المؤسسات التربوية في المجتمع لنشر مفهوم هذه المضامين وتطبيقها.

3. دراسة الجرجاوي وأبو مرق، زياد علي وجمال زكي،2000م، بعنوان (معجزة البناء القيمي كما وردت في وصايا لقمان لابنه في القرآن)

هدفت الدراسة إلى إبراز معجزة البناء القيمي للشخصية التي تتضمنها وصايا لقمان الحكيم في القرآن، وتصنيف القيم التربوية المستنبطة من وصايا لقمان، وبيان كيفية الإفادة من وصايا لقمان لابنه، واقتصرت حدود الدراسة على وصايا لقمان الواردة في القرآن الكريم فقط دون غيره حتى التي وردت في السنة النبوية. واستخدم الباحث المنهج الاستنباطي كمنهج بحث لدراسته، ومن أهم نتائج الدراسة:

أ- فتح الباب أمام المتخصصين في العلوم التربوية والإنسانية في صياغة أدبيات هذه العلوم بما يتوافق مع المفاهيم الإسلامية.

ب- لابدّ أن تتوفر في الموصي صفات من أهمها: العلم، والعمل، والتحلي بالأخلاق الكريمة، والحرص على العدل بين الناس والعناية بهم.

ت- إن لوصايا لقمان تأثيراً على الوجدان واستمالة القلوب باستخدام التشبيهات والاستعارات لتبقى شاخصة في نفس ابنه.

يشترك البحث الحالي مع الدراسات السابقة في استخدام منهجية علمية واحدة، ويتفق معهم على أهمية الوصية التربوية كأسلوب تربوي وعلمي مؤثر في المتلقي، ويختلف معهم باختصاصه بوصية

الإمام الأعظم إلى تلميذه، بينما توجهت الدراسات السابقة نحو وصايا الواردة في القرآن الكريم، أو الوصايا النبوية، أو بحثت في البناء القيمي لوصايا لقمان الحكيم.

المبحث الثاني

المطلب الأول: مفهوم الوصية

يذكر التمر، إن اقدم مَن قدّم إيضاحا للوصية، هو الأمير أسامة بن منقذ (ت584هـ)، إذ يقول: الوصية وصيتان، وصية الأحياء للأحياء، وهي: أدب، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وتحذير من زلل، وتبصرة بصالح عمل، ووصية الأموات بحق يجب عليهم أداؤه، ودين يجب عليهم قضاؤه (التمر، 2012، صفحة 207).

وبهذا نستطيع تقسيم الوصية إلى وصية فقهية تتعلق بما يوصيه المرء عند موته من قضايا ماليه على الغالب، وأخرى أدبية تربوية، يطلقها مجرب الحياة والدنيا ليحث على خير، وينبه من زلل، بصياغة رفيعة المنزلة لإنسان عزيز عليه (التمر، 2012، صفحة 209). أما مصطلح الوصية التربوية، فهو مصطلح حديث نسبياً فقد عرفها الفريح: بأنها الثمرة الفكرية التي يكتسبها الفرد من تجاربه في الحياة اليومية ومن تفاعل هذه التجارب مع بيئته ومجتمعه (الفريح، 1408هـ، صفحة 17).

وعرّفها سعيد: هي فن من فنون الأدب المنظوم، أو المنثور يجسد فيه مبدعه تجاربه الخاصة، أو آراؤه الشخصية التي يرغب في أن يخص بها من يمحضه تلك التجارب، أو الآراء من أبنائه، أو أصدقائه، أو أفراد مجتمعه (سعيد، 1421هـ، صفحة 9). ويرى الباحث أن الوصية التربوية هي أسلوب تربوي تعليمي، يتأسس على بنية علمية، وتجارب عملية، يتفاعل معهما مَن يصوغها، ويمنحها لمن يحيط به من الأفراد، لتحقيق هدف تربوي مرغوب، وتعليمي مطلوب.

المطلب الثاني: أهمية الوصية التربوية

انبثقت الوصية بالتزامن مع الوجود الإنساني على هذه الأرض، بأنواعها المختلفة، فقد أوردت كتب التاريخ وصايا لآدم عليه السلام، وكذا عن الملوك، والأمراء، والحكماء، والعلماء في أصقاع مختلفة، وأزمان متباينة، ولسنا بصدد إثبات أو نفي صحة تلك الوصايا وإنما الإشارة إلى قدم استخدام الوصية التربوية والتوجيهية للأبناء، أو الأصدقاء، وبيان مدى أهميتها، والعرب قد عرفت الوصية قبل الإسلام، وكتب الأدب طافحة بها، ولما جاء الإسلام أقرّ الوصية ولم يحاربها ولكنها اتخذت أسلوبا وإطارا متأثراً بمضمون تعاليم الإسلام، فطبع الوصية بطابعه التوجيهي والتربوي، قال تعالى: (وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَابَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ) (النساء/131)

وفي ظلّ الإسلام، وتنوع حركة الحياة، توسع الاهتمام في الوصية وأغراضها، وتوضحت أهميتها التربوية من خلال كثرة استعمالها من قبل المربين المسلمين بل سطروا فيها كتب ورسائل وضمنوها ضمن كتبهم كالإمام القشيري (ت465هـ) صاحب الرسالة القشيرية حيث جعل الباب الأخير من رسالته تحت عنوان (الوصية للمريدين)، والغزالي (ت 505هـ) له رسالة بعنوان (أيها الولد)، وابن العربي (ت638هـ) له كتاب الوصايا حيث أبان فيه عن أهمية الوصية في أبيات من الشعر، يقول:

لولا الوصيةُ كان الخلقُ في عمهٍ   وبالوصيةِ دامَ المُلكُ في الدولِ

فاعملْ عليها ولا تهملْ طريقتها   إنّ الوصيةَ حكمُ اللهِ في الأزلِ (ابن عربي، 1988، صفحة 13)

ويمكن القول أن التراث العربي والإسلامي المكتوب هو تراث تربوي تعليمي (ملكاوي، 2018، صفحة 18)، وتعدّ الوصية التربوية فيه من أفضل الوسائل للتأثير على الطالب، ويعظم تأثيرها بمكانة مَن تصدر منه، وكونها مهمة في العملية التربوية والتعليمية لاشتمالها على معلومات يحتاج الطالب إلى مَن يذكره بها، وينبهه عليها، لذا كان لزاماً على المعلمين والمربين الاهتمام بالوصية التربوية كأسلوب تربوي تعليمي (الرحيلي، 1430هـ، صفحة 20).

المطلب الثالث: تعريف بوصية الإمام أبي حنيفة لتلميذه يوسف بن خالد السمتي

لوصية الإمام ذكرٌ في عالم المخطوطات، والمكتبات العالمية، أشار إلى ذلك علي الرضا وأحمد طوران قره بلوط في كتابهما (معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم) بالتسلسل 26 ضمن

الترجمة 10949 تحت عنوان(وصية الإمام الأعظم لتلميذه يوسف بن خالد السمتي البصري برجوعه إلى أهله) (بلوط و بلوط، 2001، صفحة 3844)، وطبعت الوصية محققة عن ثلاث نسخ خطية، ملحقة بكتاب (تعليم المتعلم) للزرنوجي بتحقيق عبد الجليل عطا البكري ضمن سلسلة كنوز التربية لدار النعمان عام 1998م في دمشق، وهي النسخة التي اعتمدها الباحث في بحثه الحالي.

المبحث الثالث

المطلب الأول: المضامين التربوية المتعلقة بالجانب الأخلاقي و الاجتماعي

من المبادئ الأساسية العامة لقيام أي حضارة أو أمة من الأمم، هي ترسيخ القيم الأخلاقية والاجتماعية الفاضلة لمجتمعاتها، كونها تمثل الحجر الأساس لنجاح واستقرار الأفراد والمجتمعات، وهي صمام الأمان لجميع جوانب شخصية الأفراد في المجتمع، لذا فإن عناية الإسلام به تفوق أي عناية (حسن، 1985، صفحة 32).والتربية الأخلاقية والاجتماعية: هي التمسك بالخير والمعروف والبعد عن الشر والمنكر، ومراعاة حقوق الآخرين، واحترامهم، وتكون مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتحقيق الهدف الكبير للتربية الإسلامية، ألا وهو تقوى الله وخشيته وحسن عبادته (فرحان، 1402هـ، صفحة 68). والتربية الإسلامية توجب على المعلم، والمربي أن يذكر طلابه وتلامذته أنهم ليسوا بحاجة إلى العلم وحسب، وإنما بحاجة دائمة إلى الأخلاق الفاضلة وعليه أن يتخذ من التعليم والدروس وسائل نافعة لبناء أخلاقي متين في الطالب، وللتربية الأخلاقية والاجتماعية أساليب، ذكرها الإبراشي ، منها:

1. طريقة مباشرة: كالمواعظ، والوصايا، والحكم، والنصح، والأمثال وهذه الطريقة الأكثر شيوعاً عند المربين الأمريكيين حالياً.
2. طريقة غير مباشرة: وهي طريقة الإيحاء من خلال قصص، وشعر، وأفلام توحي إلى مستمعها بمفاهيم الصدق والعدل والكرم.
3. المحاكاة: وهو أسلوب القدوة، حيث يميل الأفراد إلى محاكاة الأشخاص الذين يتأثر بهم، وله أثر كبير في التعلم والسلوك (الإبراشي، 1986، الصفحات 111-115).

والدارس لوصية الإمام ـ رحمه الله ـ يلاحظ بوضوح الاهتمام الكبير بالأخلاق الفاضلة، واستخدام صيغة الأمر في محاسن الأخلاق، والبُعد عن الشعر، والقصة، والمثل، فهي أوامر وعلى الطالب تنفيذها، كقول الإمام ـ رحمه الله ـ: (استعملْ الصدقَ، واطرحْ الكذبَ)، و(وَقِّرْ الشيوخ، ولاطفْ الأحداثَ[1])، و(عليكَ بالمداراة والصبر وحسن الخلق وسعة الصدر)، و(ابذلْ الطعام، فانه ما ساد بخيل قط)، و(خذْ العفوَ، وامرْ بالمعروف)، و(بادرْ في إقامة الحقوق)، و(صِلْ مَنْ جفاك، واكرمْ

[1] جمع حَدَثْ، أي الشباب. (الفيومي، 2010)، مادة ح د ث)

مَنْ أتاك)، و(أظهرْ التودد إلى الناس)، و(افشِ السلامَ ولو على قومٍ لئام)، و(قدّمْ حُسنَ النية)، و(أدّ الأمانة وإن خانوك)، و (عاملْ الناس معاملتك لنفسك)، و(تمسكْ بالوفاء، واعتصمْ بالتقوى). فهي قواعد أخلاقية، والأصل في هذه القواعد الأخلاقية قوله تعالى:(وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ) (البقرة/197) وقوله صلى الله عليه وسلم : [ما من شيء اثقل في الميزان من حُسن الخلق] (أبو داود، 2009، صفحة 4799)، وقوله صلى الله عليه وسلم: [أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقاً] (الترمذي، 1408هـ، صفحة 1162)، وفي الجدول (1) بيان للأخلاق وتكراراتها ونسبها المئوية، يتبين من خلاله القيم الأخلاقية التي ركز عليها الإمام ـ رحمه الله ـ في وصيته

جدول (1) النسبة المئوية لتكرارات الأخلاق في وصية الإمام

ت	القيم الأخلاقية	التكرار	النسبة المئوية
1	المودة	6	%16
2	الكرم	4	%11
3	حسن الخلق	3	%8
4	احترام الأخرين	3	%8
5	المبادرة	2	%6
6	الصلة	2	%6
7	العفو	2	%6
8	الوفاء	2	%6
9	المداراة	1	%3
10	الصبر	1	%3
11	الإحسان	1	%3
12	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	1	%3
13	التغافل	1	%3
14	عيادة المريض	1	%3
15	الحلم	1	%3
16	التقوى	1	%3
17	الصدق	1	%3
18	الوفاء	1	%3
19	الأمانة	1	%3
المجموع		35	%100

الملحظ في الجدول (1)، أن (المودة) قد سجلت التسلسل الأول في القيم الأخلاقية التي أشار إليها الإمام ـ رحمه الله ـ، وأولاها عناية خاصة، ويذكر السيد أن هناك مرحلة تسبق مرحلة أعداد المعلم والمربي، وهي مرحلة اختيار المعلم والمربي لحمل أمانة التعليم، حيث لابد للطالب من أن يخضع لمعايير معينة قبل اختياره لمهمة التعليم، وأهمها القدرة على كسب محبة الطلبة واحترامهم، وهذا لا يكون إلا من خلال السمعة الطيبة، وحسن الخلق، والكرم، والتفوق العلمي (السيد، 2006، صفحة 129)والمربي هو القدوة الحسنة التي يقتدي بها الطلبة في حياتهم لذا يجب أن يتصف بالأخلاق الحسنة والمتميزة لينعكس ذلك في سلوك طلبته، فلا عجب أن يركز الإمام ـ رحمه الله ـ على الجانب الأخلاقي والاجتماعي الذي ينمي محبة الطالب للأستاذ ومحبة الأستاذ للطالب وينبني عليه بناء علاقات إيجابيه بين المربي والطالب، وبين الطلبة انفسهم في العملية التعليمية والتربوية، والمربي أو المعلم الذي لا يتمتع بشخصية محبوبة من قبل طلابه ربما يترك أثرا ضاراً في اتجاهات الطلاب (المطلق، 2016، صفحة 59). ومن اهم سمات هذه القواعد الأخلاقية:

1. الوضوح، وسهولة الحفظ، ومعانيها واضحة لا تحتاج إلى كثير شرح أو بيان.

2. التنوع، فهي قواعد أخلاقية تتنوع بحسب حاجة المتلقي.

المطلب الثاني: المضامين التربوية المتعلقة بالجانب التعليمي

1. الخطة الدراسية

هي صورة برنامج محدد بمراحل وخطوات، وتحديد الزمان والمكان المناسبين للعملية التعليمية ، وتقدير الموارد المتاحة، والأهداف خلال مدة معينة، والتخطيط للدرس ضروري ومهم للمربي والمعلم كونه يؤدي إلى تنظيم عملية تعلم الطلبة، ويتيح للمربي مواجهة المواقف التعليمية المختلفة باستعداد وثقة بالنفس، (الشمري، 2003، الصفحات 106-112) لذا أشار الإمام ـ رحمه الله ـ في وصيته إلى ضرورة تنظيم الدرس وملاحظة قرب مجلس الدرس من أماكن تواجد الطلبة لسهولة الوصول لمكان الدرس، وتحديد أوقات معلومة ومحددة للطلبة لبدء الدرس العلمي، يقول الإمام ـ رحمه الله ـ: وقرّب مجلسك، وليكن ذلك في أوقات معلومة. (البكري، 1998، صفحة 18)

2. تحليل خصائص الطالب

إن نجاح العملية التعليمية لا تعتمد على معرفة الأستاذ للمادة العلمية المنهجية المخصصة للطالب وحسب، إنما تتوقف بصورة كبيرة على ملائمة المادة التعليمية وطرق التدريس لخصائص الطالب ومهاراته النوعية، لذا من الضروري أن تكون لدى الأستاذ مهارة تحليل خصائص الطالب، ومعرفة أنماط سلوكه، لينتقل إلى مرحلة تحديد الفروق الفردية بين الطلبة وتحديد ما يفيدهم من المناهج التعليمية والأساليب التعليمية المناسبة (جابر، الشيخ، و زاهر، 1985، الصفحات 87-94) ونجد تحليل الطالب من قبل الإمام بصورة جلية في مقدمة الوصية، فيقول الإمام ـ رحمه الله ـ: أنا اكشف لك عمّا عزمت عليه، كأني بك وقد دخلت البصرة، وأقبلت على المناقضة مع مخالفيك، ورفعت نفسك عليهم، وتطاولت بعلمك لديهم، وانقبضت عن معاشرتهم ومخالطتهم،.................................قال السمتيُ: ولقد كنت مزمعاً على ما قال. بل يوصي الإمام رحمه الله بلزوم معرفة خصائص مَن حولك من طلبة العلم بقوله في وصيته: (ولتكن لك بطانة تعرفك أخبار الناس)(ولا تثقنّ في صحبة أحد حتى تمتحنه) (البكري، 1998، الصفحات 13-19).

3. مراعاة الفروق الفردية

من المبادئ التربوية التي اهتمت بها التربية المعاصرة، مبدأ مراعاة الفروق الفردية، خاصة بعد قيام الكثير من التجارب والأبحاث التي أشارت إلى أن كل إنسان يختلف عن الآخر في قدراته العقلية والنفسية، وبينت هذه الدراسات أثر ذلك على التعليم والتعلم لدى الطلبة، واهتم بهذا المبدأ الإمام أبو حنيفة رحمه الله، فهو يطلب من تلميذه (فأعط كل مَن يختلف إليك نوعا من العلم ينظرون فيه، ويأخذ كل منهم بحظ شيء من ذلك) (البكري، 1998، صفحة 23)، وله أصل نبوي كريم في قوله عليه الصلاة والسلام: [أنزلوا الناس منازلهم] (أبو داود، 2009، صفحة 4842) وهذا الحديث فيه دلالة على مبدأ الفروق الفردية، ومراعاة الفروق الفردية تعني، مخاطبة المتعلم وفق مستواه في الفهم، والقدرة على الاستيعاب لما يلقى عليه من العلوم والمعارف وهي من الضرورات التعليمية والتربوية التي يجب مراعاتها من قبل المعلم والمربي وتبنى أساسا على قدرة المعلم في معرفة خصائص طلابه وميولهم وقدراتهم (النجار، 1999، الصفحات 90-93)

4. التدرج في التعليم

بعد تحليل خصائص الطلبة ومعرفة الفروق الفردية لهم، لابدّ للمعلم من التدرج في إلقاء المادة العلمية بما يلائم قدرات المتعلمين، من الأسهل نحو الأصعب، والتدرج يعني البدء من المسائل السهلة القريبة من فهم الطالب (النجار، 1999، صفحة 94)، والإمام ـ رحمه الله ـ يلفت نظر تلميذه إلى هذا المفهوم التربوي بقوله: (وخذهم بجليّ العلم دون دقيقه) (البكري، 1998، صفحة 23) أي يوجه تلميذه بالتدرج في المسائل العلمية من الأسهل إلى الأصعب لغرض الاستيعاب وفهم المسائل حسب مستواهم العقلي والعلمي.

5. تشجيع الطالب على المواظبة على طلب العلم

عن طريق توطيد أواصر المودة والألفة بينه وبين طلابه بما لا يخل بهيبة الأستاذ والعلم، فإن توطيد أواصر المودة بين الأستاذ وطلابه، يولد تفاعلا إيجابيا بين المربي والطلبة من جهة، وبينهم من جهة أخرى، تثري النشاط العقلي عند الطلبة، وتنمي الثقة بالنفس عند الطلبة (الجمل، 2014، صفحة 31) يقول الإمام ـ رحمه الله ـ: وآنسهم ومازحهم أحياناً، وحادثهم، فإنها تجلب المودة وتستديم مواظبة العلم. (البكري، 1998، صفحة 23)

المطلب الثالث: المضامين التربوية المتعلقة بشخصية المعلم القدوة

اختيار المعلم أو المربي أمانة بيد العلماء، لما له من دور متميز وأساسي في العملية التعليمة والتربوية، فهو الذي تقع على كاهله تشكيل وصقل عقول الطلبة، وتأسيس أصول سلوكية وقواعد، تبنى عليها شخصية الطالب في قادم أيامه، لذا لابدّ للمعلم من صفات يتحلى بها للقيام بواجبه، وأوضحها الإمام رحمه الله إلى تلميذه:

1. أن يعظم العلم وأهله، يقول الإمام ـ رحمه الله ـ: وأكرم أهل الشرف ـ وليس المراد بالشرف السن بل هو لفظ أعم ـ وعظّم أهل العلم، ووقر الشيوخ. (البكري، 1998، صفحة 14) وكلمة الشيخ تعني ، مَن استبانت به السن وظهر عليه الشيب، وقد يعبر به عمن كثر علمه لما كان من شأن الشيخ أن تكثر تجاربه ومعارفه (نعمة و نعمة، 2013، صفحة 482).
2. أن يكون رفيقاً بالمتعلم شفوقاً عليه، يقول الإمام: وارفق بهم وسامحهم، ولا تبد لأحد منهم ضيق صدر أو ضجرا، وكن كواحد منهم. (البكري، 1998، صفحة 23) والرفق والشفقة

يتولد منهما مودة بين الطالب والأستاذ، التي بدورها تجعل الطالب يحب المادة العلمية وتكون أساساً لبناء سلوك أخلاقي ومعرفي متميز لدى الطالب مما ينعكس إيجابا على الطالب ومستقبله والبيئة المحيطة به. (الإبراشي، 1986، صفحة 145)

3. أن يكون حسن المظهر والملبس بما يناسب المكانة العلمية والتدريسية للمعلم والمربي، وفي هذا الصدد يقول الإمام ـ رحمه الله ـ: واستجدّ ثيابك، وأكثر استعمال الطيب. وورد للإمام مالك رحمه الله قوله:

حسّنْ ثيابك ما استطعت فإنها   زِيَنُ الرجالِ بها تُعزُّ وتُكرَمُ

ودَعْ التخشُّنَ في الثياب تواضعاً   فـالله يعلمُ ما تُسِرُّ وتَكتُمُ

ويذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان ينفق ثلث ماله على الطيب. (البكري، 1998، صفحة 17)

4. التخلق بمكارم الأخلاق، والصبر على التعليم، كون المربي قدوة ومثال، يلهم الطلبة السير على سيره، ويحاكونه في السلوك من خلال المواقف التعليمية المتنوعة، فهو مثال يحتذى، لذا أشار الإمام ـ رحمه الله ـ إلى ذلك بقوله: وعليك بالمداراة والصبر والاحتمال وحسن الخلق وسعة الصدر. (البكري، 1998، صفحة 17)

الاستنتاجات

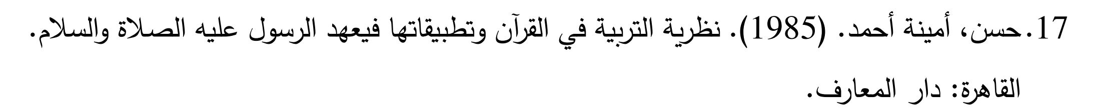
1. الوصية أسلوب تربوي تعليمي، قديم استخدم من قبل علماء الإسلام من القرن الثاني الهجري.
2. أشار الإمام أبو حنيفة رحمه الله في وصيته التي أوصى بها في القرن الثاني الهجري إلى آراء تربوية لم تُذكر إلا بعده بقرون طويلة.
3. اهتم الإمام رحمه الله بالجانب التربوي الأخلاقي الذي يمثل الهدف الاسمى للتربية الإسلامية. مع مراعاة لمبادئ تربوية مثل، خطة التدريس، ومراعاة الفروق الفردية، والتدرج في التعليم.
4. اهتم الإمام ـ رحمه الله ـ بإعداد المعلم والمربي الذي يزاول عملية التعليم ويواجه المواقف التعليمية المختلفة.
5. اهتمام الإمام رحمه الله بطلابه، وقدرته على تحليل شخصية الطالب، ومتابعته المستمرة للطالب حتى بعد التحصيل العلمي.

التوصيات

1. ضرورة اهتمام المربين بالوصية كأسلوب تربوي وتعليمي.
2. قيام المؤسسات العلمية والبحثية بتوجيه باحثيها وطلبتها على استكشاف كنوز تراثنا الإسلامي.
3. الإفادة من الآراء التربوية والتعليمية لعلماء الإسلام في بناء الصرح العلمي لمجتمعاتنا المعاصرة، والمحافظة على هويتنا العربية والإسلامية.

المصادر

1. القرآن الكريم
2. الإبراشي، محمد عطية. (1986). التربية الاسلامية وفلاسفتها. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
3. ابن الحنائي، علاء الدين بن أمر الله. (2005). طبقات الحنفية. بغداد: ديوان الوقف السني.
4. ابن حجر، شهاب الدين احمد بن حجر الهيتمي. (د.ت). الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان. بيروت، لبنان: دار الارقم بن أبي الارقم.
5. ابن عربي، محي الدين الطائي الاندلسي. (1988). الوصايا. دمشق، سوريا: دار الايمان.
6. أبو داود، سليمان بن الاشعث. (2009). سنن أبي داود. دمشق، سوريا: دار الرسالة العالمية.
7. أبو زهرة، محمد. (1997). أبو حنيفة حياته وعصره ـ آراؤه وفقهه. القاهرة: دار الفكر العربي.
8. أبو شوشة، محمد ناجح. (2009). التراث التربوي في المذهب الشافعي. القاهرة: دار العلم والإيمان.
9. البكري، عبد الجليل العطا. (1998). تعليم المتعلم ومعه وصية أبي حنيفة. دمشق، سوريا: دار النعمان للعلوم.
10. بلوط، علي الرضا قره ، و بلوط، أحمد طوران قره. (2001). معجم تاريخ التراث الاسلامي في مكتبات العالم. قيصري/ تركيا: دار العبة.
11. الترمذي، محمد بن عيسى. (1408هـ). سنن الترمذي. بيروت: دار الكتب العلمية.
12. التمر، علي حسين محمد. (5 كانون الثاني, 2012). الوصايا في عصر صدر الاسلام. مجلة جامعة تكريت للعلوم، 20(1)، الصفحات 206-245.
13. التميمي، نوف ناصر. (د.ت). المضامين التربوية لوصايا لقمان اسس استراتيجية لتعزيز الهوية لمواجهة العولمة. المدينة المنورة: الجامعة الاسلامية.
14. جابر، عبد الحميد جابر ، الشيخ، سليمان الحصري ، و زاهر، فوزي أحمد. (1985). مهارات التدريس. مصر: دار النهضة العربية.
15. الجرجاوي، زياد علي ، و أبو مرق، جمال زكي. (2000). معجزة البناء القيمي للشخصية في وصية لقمان لابنه في القرآن. مؤتمر الاعجاز في القرآن الكريم (الصفحات 1-36). الخليل: جامعة الخليل.
16. الجمل، وسام عبد الهادي. (2014). درجة توافر كفايات المعلم الناجح في الفكر التربوي الإسلامي لدى معلمي المرحلة الثانوية بمحافظات غزة وسبل تعزيزها. الجامعة الاسلامية، كلية التربية. غزة: غير منشور.



17. حسن، أمينة أحمد. (1985). نظرية التربية في القرآن وتطبيقاتها فيعهد الرسول عليه الصلاة والسلام. القاهرة: دار المعارف.

18. حلاق، حسان ، و سعد الدين، محمد منير. (2006). المناهج العلمية في كتابة الرسائل الجامعية وتحقيق المخطوطات والعلوم المساعدة. بيروت: دار بيروت المحروسة.

19. الرحيلي، عبد الله بن صالح بن حجري. (1430هـ). المضامين التربوية المستنبطة من وصايا علماء المشرق لأولادهم وتلاميذهم في القرن السابع الهجري وتطبيقاتها. الجامعة الاسلامية، كلية الدعوة واصول الدين. رسالة ماجستير غير منشور.

20. سعيد، محمود شاكر. (1421هـ). وصايا الاباء الى الابناء. الرياض: دار اسامة.

21. السيد، عاطف. (2006). التربية الاسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها. القاهرة: دار طيبة للطباعة.

22. الشمري، هدى علي جواد. (2003). طرق تدريس التربية الإسلامية. عمان/ الاردن: دار الشروق.

23. غاوجي، وهبي سليمان. (1973). أبو حنيفة النعمان إمام الائمة الفقهاء. دمشق، سوريا: دار القلم.

24. فرحان، اسحاق أحمد. (1402هـ). التربية الاسلامية بين الاصالةوالمعاصرة. عمان: دار الفرقان.

25. الفريح، سهام. (1408هـ). الوصايا في الادب العربي القديم. الكويت: مكتبة المعلا.

26. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ. (2010). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. دمشق: دار الرسالة العالمية.

27. محمد، محمد نور ابراهيم. (1431هـ). المضامين التربوية المستنبطة من الوصايا النبوية. الجامعة الاسلامية، كلية الدعوة واصول الدين. المدينة المنورة: غير منشور.

28. المرزوقي، آمال. (1 حزيران, 1995). مضامين تربوية من سورة البقرة. دراسات تربوية واجتماعية(71)، الصفحات 158-175.

29. المطلق، فرح سليمان. (4 حزيران, 2016). كفايات المدرس الناجح وصفاته من وجهة نظر الموجهين الاختصاصيين والطلبة. مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس، 14(2)، الصفحات 47-82.

30. ملكاوي، فتحي حسن. (2018). التراث التربوي الاسلامي. عمان: مركز معرفة الانسان للدراسات والابحاث والنشر.

31. النجار، يوسف محمد. (1999). النهج التربوية للعلماء والمربين المسلمين. بيروت: دار ابن حزم.

32. نعمة، حيدر علي ، و نعمة، أحمد علي. (2013). المعجم القرآني (المجلد 2). بغداد، العراق: الجامعة العراقية / مطبعة السيماء.

33. يالجن، مقداد. (1406هـ). جوانب التربية الإسلامية الاساسية. بيروت: دار الريحاني.